

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٧٤ - خ١ : أحاديث تبدأ بكلمة (إياكم) - خ٢ : الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها....

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٩١-٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

سعادة المؤمن تقوم على تنفيذ أمر الله و الابتعاد عما نهى عنه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام أُوتى جوامع الكلم ، وأُوتى جوامع الحكم ، ففي أحاديثه الشريفة طائفة تبدأ بكلمة إياكم ، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام يحذر أمته من هذه الأفعال ، وقد تعلمون أيها الأخوة أن في الدين أوامر ، وفي الدين نواه ، وأن هذه الأوامر إما أن ترد في كتاب الله مباشرة ، وإما أن ترد في حديث رسول الله ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا أَنَّاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر : ٧]

فأمر النبي هو عين أمر الله ، ونهي النبي عليه الصلاة والسلام هو عين نهي الله، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوْهُ ﴾

[سورة التوبه : ٦٢]

بضمير المفرد ، أي أن إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعته ، والانتهاء عما عنه نهى هو عين إرضاء الله عز وجل ، وأن إرضاء الله عز وجل باتباع أمره، واجتناب نهيه هو عين إرضاء رسول الله ، فنحن أمام نصين ، نص من قبل الله عز وجل ، هو كلام الله فيه أمر ونهي ، والنبي عليه الصلاة والسلام يبين ويفصل .

النبي عليه الصلاة والسلام من بعض أحاديثه الشريفة التي تبدأ بكلمة إِيَّاكَ أو إِيَّاكُمْ ، هذه الصيغة تُقيد النهي والتحذير ، فسعادتك إليها الأخ المؤمن تقوم على تنفيذ أمر الله ، وهلاكُ الإنسان سببه اقترافُ ما نهى الله عنه ، وقد يقول قائلٌ : هذه المعصية ، وهذه المخالفة لا توجبُ الهلاك ، لكن الشيء الذي يُلْفِتُ النظر أنَّ كُلَّ مخالفةٍ تجرُّ إلى مخالفةٍ أكبر ، وهكذا حتى ينتهي صاحبُها إلى النار ، ألم تسمعوا قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما سأله أصحابه من المفلس ؟ عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((قال : أَتَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاءٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً وَيَاتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخْذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

فالمعصية تُجْرِي إلى معصيةٍ أكبر ، والانحراف يجرُّ إلى انحرافٍ أشد .

العاقد و الموفق من لا يتفوه بكلمة يضطر أن يعتذر منها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذِرُ مِنْهُ))

[الطبراني عن عبد الله بن عمر]

أيُّ قولٍ ، أو أيُّ فعلٍ تضطرّ بعدَ حينٍ أن تعتذر عنه ، فأنت في الأصل لا تتفوه به ، جرت مناقشةٌ تعرفونها جميعاً بين سيدنا معاوية بن أبي سفيان ، وبين سيدنا عمرو بن العاص ، قال : يا عمرو أعرُفك من دُهَّةِ الْعَرَبِ ، ما بَلَغَ مِنْ دَهَائِكَ ؟ قال : والله ما دَخَلْتُ مُدْخَلًا إِلَّا أَحْسَنْتُ الْخُرُوجَ مِنْهُ ، فقال معاوية رضي الله عنه : يا عمرو ، لَسْتَ بِدَاهِيَّةٍ ، أَمَا أَنَا فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُ مُدْخَلًا أَحْتَاجُ أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ ، لَا نَقْلَ أَمْرًا ثُمَّ تَعْتَذِرُ ، لَا تَقْفَ مَوْقِفًا ثُمَّ تَعْتَذِرُ ، لَا تَفْعَلْ شَيْئًا ثُمَّ تَعْتَذِرُ ، إِنْ كُنْتَ مُوقَّاً ، وَإِنْ كُنْتَ حَصِيفًا ، إِيَّاكَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِكُلِّمَةٍ تُضْطَرُّ أَنْ تَعْتَذِرَ مِنْهَا :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

يقول عليه الصلاة والسلام :

((إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذِرُ مِنْهُ))

[الطبراني عن عبد الله بن عمر]

أحد العلماء له نصائح ثلاثة ، يقول : زنْ كلامكَ قبل التقوه به ، وجائب ما تحتاج منه إلى الاعتذار ، واترك إجابة السفيه حلماً عنه ، وتوفيرًا لقدرك .

ميمن بن مهران سمع من عمر بن عبد العزيز هذه النصائح الأربع ، قال سيدنا عمر بن عبد العزيز : " لا تصحب سلطاناً وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ، ولا تخلون بأمرأة ولو أقرأتها القرآن ، ولا تصلن من قطع رحمة فإنه لك أقطع ، ولا تتكلمن بكلام تعذر منه غداً " نصائح قيمة لسيدنا عمر بن عبد العزيز .

وقال بعضهم : " داع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، ولو كان عندك اعتذاره " لو أنك مثلاً كنت مريضاً ، لا سمح الله ، وقد أجاز لك الشرع أن تفتر ، فلو شربت أمام الناس ، هناك أناس كثيرون يتهمونك بالمعصية مع أنك معذور في الشرع ، لذلك ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، ولو كان عندك اعتذاره ، أنت معك العذر ، ومعك عذر شرعي ، ولكن تجنب أن تشرب وأنت معذور شرعاً أمام الناس ، لئلا يتهمك معظم الناس بالمعصية وأنت بريء منها .

وقال بعضهم : " خف من مواضع التهم أكثر مما تخف من مواضع الألم لأن شرف المؤمن رأس ماله في الحياة " إن سمعته هي أثمن ما يملك ، إن سمعته رأس ماله في الدعوة إلى الله عز وجل ، فلتبتعد عن مواطن التهم .

وقد قال الإمام علي كرم الله وجهه : " من وضع نفسه مواضع التهم لا يلوم الناس إذا اتهموه " وسبب ورود هذا الحديث الشريف أن رجلاً قال : يا رسول الله عظني وأوجز ؟ قال : ((إذا كنت في صلاتك فصل صلاة مودع ، وإياك وما يعتذر منه ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس))

[ابن عساكر عن أبي أبي أيوب]

من قول ، أو من فعل ، أو من موقف ، أو من إعطاء ، أو من منع ، أو من صلة ، أو من قطيعة ، أو من غضب ، أو من حلم ، إياك وما يعتذر منه .

النهي عن المبالغة بالتنعم :

حديث آخر ، عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لما بعث به إلى اليمن قال له : إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتععين))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

أيها الأخ الكريم ؛ إذا عرفت أن هذه الدنيا دار التّواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبي ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، إذا عرفت حقيقة الدنيا ، وأنها ممر وليس مقراً ، وأنها دار عمل ، وليس دار جراء ، وأنها دار تكليف ، وليس دار تشريف ، وأنها مزرعة الآخرة ، وأن وجودك فيها هدفة الأول معرفة الله ،

ومعرفة منهجه ، وتطبيق منهجه ، والعمل تقربا منه ، إذا عرفت كل هذه الحقائق ، لا تجعل التّنّعَم في الدنيا كل همك ، ولا مبلغ علمك ، لأنك إذا جعلت التّنّعَم المباح الذي شرعه الله عز وجل كل همك ، جعلك هذا التّنّعَم تستأْسِي بالدنيا ، وترُكَ إليها ، وتحبّ امتداد الحياة ، وتكره لقاء الله ، وربما حملك هذا التّنّعَم على أكل المال الحرام ، وربما حملك هذا التّنّعَم على السكوت عن قول الحق ، وربما حملك هذا التّنّعَم عن أن تقول ما لستَ قانعاً به ، وربما حملك هذا التّنّعَم على النفاق ، وربما حملك هذا التّنّعَم على مداراة الناس على حساب دينك ، وربما حملك هذا التّنّعَم على طلب الدنيا وترك الآخرة ، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لما بعث به إلى اليمن قال له : إياك والتّنّعَم فإن عباد الله ليسوا بالمتّنعمين))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

التّنّعَم هنا كما قال بعضهم ؛ المبالغة بالتّنّعَم ، وكما قال بعضهم : أن تجعل التّنّعَم كل همك ، ومبلغ علمك ، لكن المؤمن كما قال الله عز وجل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل : ٩٧]

هذا المعنى لا يتناقض مع هذا النبي الذي وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

النهي عن الجلوس في الطرقات :

وفي حديث ثالث ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسُ فِي الطُّرُقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدْ منْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَى الْمَجِلسِ فَاعْطُوَا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ : غَضَّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذْى ، وَرَدَّ السَّلَامِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ))

[منقق عليه عن أبي سعيد الخدري]

لماذا لا نجلس على الطرقات ؟ لأنك في الطريق تتطلع على عورات الناس ، نساء كاسبات عاريات ، مائلات مميلات ، يخترن في هذه الطرقات ، فالجلوس في مكان مطل على الطريق ، وإطلاق البصر بما يجري ، وفيما يجري ، هذا مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام ، بل إنّ الذي يجرح عدالة الإنسان التّزه في الطرقات لمظنة الوقوع في المعصية والآثام. يقول عليه الصلاة والسلام : إياكم والجلوس على الطرقات ، فيها مظنة إطلاق البصر ، فيها مظنة سماع المنكر ، فيها مظنة الغناء ، فيها مظنة تتبع العورات ، فيها مظنة أن تحشر نفسك فيما لا دخل لك به ، فيها مظنة التعلق بالدنيا :

((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسُ فِي الطُّرُقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بِذَٰلِكَ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَى الْمَجِلسِ فَأَعْطُوهُ الظَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : وَمَا حَقَّهُ ؟ قَالَ : غَضَّ الْبَصَرِ ، وَكَفَ الْأَذْى ، وَرَدَ السَّلَامِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ))

[منفق عليه عن أبي سعيد الخدري]

لو أُنِك مضطرٌ أن تكون في طريق ، أو أن تجلس في طريق ، أو أن محل مُطلٌ على الطريق ، أعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ومن كف الأذى أن تدل المستدل ، أن تعيين الضعيف ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : ((غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر - إذا كنت في مكان عام ، أو في مكان مُطلٌ على طريق عام ، أو اضطررت أن تكون في الطريق ، فأعط الطريق حقه - غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر))

من مكائد الشيطان سوء الظن بال المسلمين :

وفي حديث رابع ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إِيَّاكُمْ وَالظُّنُونُ إِنَّ الظُّنُونَ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تجسِّسُوا ، وَلَا تحسِّسُوا ، وَلَا تنافسُوا ، وَلَا تحسِّسُوا ، وَلَا تباغضُوا ، وَلَا تدابِرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))

[منفق عليه عن أبي هريرة]

أي أن تبني موقفاً على ظن لا على يقين ، وأي إنسانٍ يبني موقفاً ، أو علاقة ، أو منعاً ، أو صلة ، أو قطيعة ، أو مودة ، أو عداوة ، أي إنسانٍ يبني هذه المواقف وهذه المسالك على ظنٍ لا على يقين فقد وقع فيما نهى النبي عنه .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ما هو الظن ؟ وما هو سوء الظن ؟ سوء الظن كما عرفه العلماء : تُهمة تقع في القلب بلا دليل ، أن تتهمنَ إنساناً في قلبك دون أن تتطبق بسانك ، بلا دليل ، إذا اتهمتَ بلا دليل فقد وقعتَ بسوء الظن ، ومن أساء الظن بأخيه فقد أساء الظن بربِّه ، أن تتهمنَ أخاك بتهمةٍ ما من دون دليل فقد انطبقَ عليك هذا الحديث الشريف .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِيَّاكُمْ وَالظُّنُونُ ، أو إِيَّاكُمْ وَسُوءُ الظُّنُونَ ، أو إِيَّاكُمْ وَاتِّبَاعُ الظُّنُونَ ، والإمام الغزالى رحمه الله تعالى يقول : سوء الظن حرام كسوء القول ، لماذا قال عليه الصلاة والسلام فإن الظن أكذب الحديث ؟ حديثٌ منْ ؟ أنت ساكتٌ ! قالوا : حديث النفس ، قد تحدثَك نفسك بأنَّ فلاناً فعلَ كذا من أجل كذا ، له مصلحة ، وفلاناً خطبَ هذه المرأة ، هي دينَة ولكنَّ خطبها لمَالها ، وأنَّ فلاناً يحرصُ على فلانٍ لمصلحة له عنده ، حديث النفس ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِيَّاكُمْ وَالظُّنُونُ إِنَّ الظُّنُونَ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ "

الحديث " حديثُ مَنْ ؟ إِنَّهُ حديثُ النَّفْسِ ، إِيَّاكَ أَنْ تُسْيءَ الظَّنَّ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَبَعَّ هَذَا الظَّنُّ ، أَيْ تَبْنِي عَلَيْهِ عَلَاقَةً ، تَبْنِي عَلَيْهِ قَطْبِيَّةً ، تَبْنِي عَلَيْهِ مُوَدَّةً ، تَبْنِي عَلَيْهِ عَطَاءً ، تَبْنِي عَلَيْهِ مَنْعًّا ، إِيَّاكَ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْبَرُ الْحَدِيثِ .

الابتعاد عن التجسس والحسد وتتبع عورات الناس :

ثُمَّ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا تَتَبَعُ عُورَاتَ الْمُسْلِمِينَ ، لَا تَهْرُكْ سِرْتَهُمْ ، لَا تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ أَخْفَوْهُ عَنْكَ ، كُنْ مُتَخَلِّفًا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ، مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي السَّتَّارِ وَالسَّتِيرِ ، وَهَذِي الْأَخْبَارُ الَّتِي لَا تَعْنِيكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةً فَلَا تَبْحَثُ عَنْهَا ، فَمَنْ حُسْنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ .

وَلَا تَنافِسُوا ، التَّنافِسُ فِي الْآخِرَةِ مُحَمَّدٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنافَسُ الْمُتَنافِسُونَ ﴾

[سورة المطففين : ٢٦]

وَالتَّنافِسُ فِي الدُّنْيَا مَذْمُومٌ لِأَنَّ الدُّنْيَا جِيفَةٌ طَلَابُهَا كَلَابُهَا ، هِيَ دَارُ مَنْ لَا دَارُ لَهُ وَلَهَا يَسْعَى مِنْ لَا عُقْلُ لَهُ ، وَلِأَنَّ مَصِيرَهَا إِلَى الْفَنَاءِ ، فَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ عَطَاءٍ ، هُوَ عَارِيَّةٌ مُسْتَرْدَةٌ ، وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بِعُوْضَةٍ مَا سَقَى الْكَافِرُ مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً .

وَلَا تَحَاسِدُوا ، لَا تَتَنَنَّى أَنْ تَرُولُ نِعْمَةً عَنْ أَخِيكَ ، مَقِيَّاسٌ دَقِيقٌ أَضَعُهُ بَيْنَ يَدِيكَ: إِنْ أَصَابَ أَخَاكَ حَسَنَةً فَتَأْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي خَنْدَقِ الْمَنَافِقِينَ ، قَالَ تَعَالَى : " إِنْ تَصْبِكَ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ " . وَإِنْ أَصَابَتْ أَخَاكَ حَسَنَةً فَسُرِّرْتَ لَهَا ، فَهَذِهِ عَلَامَةُ الإِيمَانِ أَنْ تَسْعَدَ بِسَعَادَةِ إِخْوَانِكَ ، وَأَنْ تَشْقُى بِشَقَائِصِهِمْ ، أَنْ تَفْرَحَ لِفَرَحِهِمْ ، وَأَنْ تَتَلَمَّ لِأَلَمِهِمْ ، أَنْ تُحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَأَنْ تَكْرِهَ لَهُمْ مَا تَرَكَ لِنَفْسِكَ .

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ وَلَا تَبَاغِضُوا ، الْبُغْضُ لَيْسَ عَمَلاً إِرَادِيًّا ، هَذَا شَيْءٌ لَا عَلَاقَةَ لِيَ بِهِ ، الْقَلْبُ يُبَغْضُ أَوْ لَا يُبَغْضُ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : لَا تَتَعَاطَوْا أَسْبَابَ الْبُغْضِ ، فَالْغَلْغَلَةُ تُؤْدِي إِلَى الْبُغْضِ ، النَّمِيَّةُ تُؤْدِي إِلَى الْبُغْضِ ، الْكَلَامُ الْقَاسِيُّ يُؤْدِي إِلَى الْبُغْضِ ، الْغَمْزُ وَاللَّمْزُ يُؤْدِي إِلَى الْبُغْضِ ، النَّظَرَةُ الَّتِي فِيهَا ازْدِرَاءٌ تُؤْدِي إِلَى الْبُغْضِ ، فَأَيِّ عَمَلٍ يُؤْدِي إِلَى أَنْ تَبَاغِضَ أَخَاكَ أَوْ إِلَى أَنْ يَبْغِضَكَ أَخُوكَ ، هَذَا الْعَمَلُ لَا تَتَعَاطَاهُ :

((وَلَا تَبَاغِضُوا وَلَا تَدَابِرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))

[متقد علىه عن أبي هريرة]

هَذِهِ دُعْوَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

((إِيَّاكَ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْبَرُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسِّسُوا ، وَلَا تَحْسِسُوا ، وَلَا تَنافِسُوا ، وَلَا تَحَاسِدُوا ، وَلَا تَبَاغِضُوا ، وَلَا تَدَابِرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))

[متقد علىه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأكارم ؛ سبب التحرير أن خبابا القلوب لا يعلمها إلا عالم الغيب ، لا تستطيع أن تكشف سر أخيك ، لأن الله وحده يعلم السر وأخفى ، والقاعدة أنه إذا ساء فعل المرء ساعت ظنونه ، فالسيئ يظن السوء ، والخير يظن الخير ، وقد قال الحكيم الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساعت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهّم
وعاد محبّيه بقوّ عدوه وأصبح في ليل من الشّكّ مظلم

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإمام الغزالى رحمه الله تعالى يرى أنه من أكبر مكائد الشيطان سوء الظن بال المسلمين ، فالشيطان يتحرك ليضعف لك ثقتك بالناس ، وبالمؤمنين ، ثقتك بنزاهتهم ، ثقتك بورعهم ، فمن أكبر أعمال الشيطان هو أن يهزّ عندك ما ظننته مسلماً ، أو ما ظننته مؤمناً ، أو ما ظننته ورعاً ، أو ما ظننته تقىياً ، لذلك من مكائد الشيطان سوء الظن بال المسلمين .

أيها الأخوة الأكارم ؛ بقيت أحاديث أشرحها لكم إن شاء الله تعالى في خطبة قادمة ، إياكم وكثرة الحلف بالبيع فإنه ينفق ثم يمحق ، وإياكم والدخول على النساء ، وإياكم والشح ، وإياكم وسوء ذات البين ، وإياكم والهوى ، وإياكم ومحقرات الذنوب ، وإياكم والغيبة .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلام وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

رفع السماء بغير عمد نراها من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من نعم الله الظاهرة ، هذه النعم التي بين أيدينا ، ولكن هناك نعم عظمى لا نعرفها ، بل نحن في غفلة عنها ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا ﴾

[سورة إبراهيم : ٣٤]

وفي هذه الآية شيء يلفت النظر ، تَعْدُوا نعمة الله ، أي خيرات النعمة الواحدة أنتم عاجزون عن إحسانها .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد : ٢]

قد يُفهَم من هذه الآية أنَّ بَيْنَ النَّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ أَعْمَدَةً لَا نَرَاهَا ، لَأَنَّ الْآيَةَ تَقُولُ :

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد: ٢]

إِذَا لَيْسَ هُنَاكَ أَعْمَدَةٌ مَرئِيَّةٌ ، هَذَا لَا يَنْفِي أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ أَعْمَدَةٌ غَيْرُ مَرئِيَّةٍ أَيْهَا الْأَخْوَةُ ، الْأَجْسَامُ تَتَجَادَبُ فِيمَا بَيْنَهَا ، وَالْكُلُّ تَتَجَادَبُ فِيمَا بَيْنَهَا ، وَالْكَوَاكِبُ تَتَجَادَبُ فِيمَا بَيْنَهَا ، فَالشَّمْسُ تَجِذَبُ الْأَرْضَ ، وَلَوْ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْةَ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي الشَّمْسِ ؛ قُوَّةُ الْجَذْبِ انْعَدَمَتْ لِسَبَبِ مِنَ الْأَسْبَابِ فَإِنَّ الْأَرْضَ سُوفَ تَلَاقِي مَصِيرُهَا الْمُحْرِنِ ، بَانْدِفَاعِهَا الْأَزْلِيِّ فِي مَتَاهَاتِ الْفَضَاءِ الْكُوْنِيِّ ، الْبَارِدَةِ وَالْمَعْتَمَةِ .

نِعْمَةُ الشَّمْسِ ! شَيْءٌ مَأْلُوفٌ أَنْ نَرَى الشَّمْسَ كُلَّ يَوْمٍ ، أَنْ تَشْرُقَ عَلَيْنَا الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ ، أَلَا يَغِيبَ عَلَيْنَا ضُوءُ الشَّمْسِ ، وَلَكِنْ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ تَفَلَّتْ مِنْ جَاذِبَيَّةِ الشَّمْسِ ، وَمَضَتْ فِي مَتَاهَاتِ الْفَضَاءِ ، إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ حِيثُ الظَّلَامُ الدَّامِسُ ، وَالْبَرْدُ الَّذِي قَدْ يَصِلُّ إِلَى ثَلَاثَمَةٍ وَخَمْسِينَ دَرْجَةً تَحْتَ الصَّفَرِ ، فَمَا مَصِيرُ الْأَرْضِ ؟

أَيْهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ بِحِسَابِ قُوَّةِ الْجَاذِبَيَّةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ : لَوْ أَرْدَنَا اسْتِبْدَالُ حِبَالِ الْجَاذِبَيَّةِ بِحِبَالِ مَرئِيَّةِ ، وَاخْتَرْنَا أَمْتَنَّ الْمَعَادِنَ عَلَى الإِطْلَاقِ إِنَّ الْفَوْلَادَ الْمَضْفُورَ ، هَذَا الْمَعْدَنُ السَّنْتِمْتَرِ مَرْبَعٌ مِنْهُ يَتَحَمَّلُ قُوَّةً شَدَّ تَرِيزَّدُ عَنْ مِئَةِ كِيلُو ، لَوْ أَرْدَنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ أَعْمَدَةً مِنَ الْفَوْلَادِ كَمْ نَحْتَاجُ ؟ قَيْلَ : نَحْتَاجُ إِلَى مَلِيُونِ مَلِيُونِ عَمُودٍ ، قَطْرُ الْعُمُودِ الْوَاحِدِ خَمْسَةُ أَمْتَارٍ !! فَلَوْ وُضِعَتْ كُلَّ هَذِهِ الْأَعْمَدَةِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى نَسْتَبِدِلَ بِهَا قُوَّةَ التَّجَادُبِ الَّتِي أَوْجَدَهَا اللَّهُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ هَذَا شَيْءٌ لَا يُصَدِّقُ ، لَوْ أَرْدَنَا أَنْ نَسْتَبِدِلَ قُوَّةَ التَّجَادُبِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مَأْلُوفَةٌ وَلَكِنْ لَا نَرَاهَا ، أَنَّ الْأَرْضَ مَرْبُوطَةُ بِالشَّمْسِ ، وَتَوْرُ حَوْلَهَا ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : كُلَّ هَذِهِ الْقُوَّى مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْرُفَ مَسَارَ الْأَرْضِ كُلَّ ثَانِيَةٍ ثَلَاثَةَ مِيلِيَّمِترَاتٍ حَتَّى تُشَكَّلَ مَسَارًا شَبِيهًَا بِالْدَائِرَةِ مُغْلَقًا حَوْلَ الشَّمْسِ ، وَلَوْلَا هَا لَانْتَهَتِ الْحَيَاةُ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْدَعَ فِي هَذِهِ الشَّمْسِ قُوَّةً عَظِيمَةً لِجَذْبِ الْأَرْضِ ، وَبِقَاءَ الْأَرْضِ تَوْرُ حَوْلَ الشَّمْسِ لِاَنْفَلَتِ الْأَرْضُ ، وَسَارَتْ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ فِي فَضَاءٍ تَرِيزَّدُ بُرُودَتِهِ عَنْ ثَلَاثَمَةٍ وَخَمْسِينَ تَحْتَ الصَّفَرِ ، وَكَنَا فِي ظَلَامِ دَامِسٍ ، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ لَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ . فَهَذِهِ الْقُوَّى الَّتِي بَيْنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ لَوْ أَرْدَنَا أَنْ نَسْتَبِدِلَهَا بِحِبَالٍ فَوْلَادِيَّةٍ مَلِيُونِ مَلِيُونِ حَبْلٍ فَوْلَادِيَّ مَضْفُورٍ ، قَطْرُ كُلِّ حَبْلٍ خَمْسَةُ أَمْتَارٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ حَبْلَيْنِ مَسَافَةُ حَبْلٍ وَاحِدٍ أَصْبَحْنَا أَمَامَ غَابَةٍ رَبِّما حَجَبْنَا هَذِهِ الْغَابَةَ عَنْ أَشِيَّعَةِ الشَّمْسِ ، لِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد: ٢]

لو أنّ هناك أعمدة فولاذية معدنية لرأيَتَ العَجَابَ العَجَابَ ، ولرأيَتَ الحركة على سطح الأرض مستحيلة ، لرأيَتَ البناء مستحيلاً ، لرأيَتَ أُشِعَّةَ الشَّمْسِ مَحْوَبَةً بِهَذِهِ الْحِبَالِ الْكَثِيرَةِ ، وَهَذِهِ مِن النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي قَدْ لَا يَنْتَبِهُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد: ٢]

أيها الأخوة الأكارم ؛ دققوا في هذه الآيات الكونية فكلما ازددنا معرفةً بها ازددنا معرفةً بالله عز وجل .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أطعنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عننا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعبنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبيتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادنا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زادنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتكم عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وامن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رحرياً وسائل بلاد المسلمين . اللهم إننا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب .

اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسألك شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ،
وندم من منع ، وأنت من فوقهم ولـي العطاء ، وبيـدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللـهم كما
أفررت أعين أهل الدنيا بيـنـياتـهم فأقرـرـ أعيـنـا من رضوانـك يا ربـ العالمـين . اللـهم بـفضـلـكـ
وبـرـحـمـتكـ أـعـلـ كـلـمـةـ الـحـقـ وـالـدـيـنـ ، وـانـصـرـ إـلـسـلـامـ وـأـعـزـ الـمـسـلـمـينـ، وـخـذـ بـيـدـ وـلـاتـهـمـ إـلـىـ ماـ تـحـبـ
وـتـرـضـىـ ، إـنـكـ عـلـىـ مـاـ تـشـاءـ قـدـيرـ ، وـبـالـإـجـابـةـ جـدـيرـ .

والحمد للـله ربـ العالمـين